

تفسير البحر المحيط

@ 144 @ مسامت الكعبة يقال له الضراح ، والضريح أيضاً ، وهو الذي ذكر في حديث الإسراء ، قال جبريل : هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم . وقال مجاهد وقتادة وابن زيد : في كل سماء بيت معمور ، وفي كل أرض كذلك . وسأل ابن الكوا علياً ، رضي الله تعالى عنه فقال : بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضراح . وقال الحسن : البيت المعمور : الكعبة ، يعمره الله كل سنة بستمئة ألف ، فإن عجز من الناس أتمه الله بالملائكة . { وَالسَّكِّفِ الْمَرْفُوعِ } : السماء ، قال ابن عباس : هو العرش ، وهو سقف الجنة . .

{ وَالْبَيْحَرِ الْمَسْجُورِ } ، قال مجاهد وشمر بن عطية والضحاك ومحمد بن كعب والأخف 5 : هو البحر الموقد ناراً . وروى أن البحر هو جهنم . وقال قتادة : البحر المسجور : المملوء ، وهذا معروف من اللغة ، ورجحه الطبري بوجود ماء البحر كذلك ، ولا ينافي ما قاله مجاهد ، لأن سحرت التنور معناه : ملأته بما يحترق . وقال ابن عباس : المسجور : الذي ذهب ماؤه . وروى ذو الرمة الشاعر ، عن ابن عباس قال : خرجت أمة لتستقي ، فقالت : إن الحوض مسجور : أي فارغ ، وليس لذي الرمة حديث إلا هذا ، فيكون من الأضداد . ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة . وقال ابن عباس أيضاً : المسجور : المحبوس ، ومنه ساجور الكلب : وهي القلادة من عود أو حديد تمسكه ، ولولا أن البحر يمسك ، لفاض على الأرض . وقال الربيع : المسجور : المختلط العذب بالملح . وقيل : المفجور ، ويدل عليه : { وَإِذَا الْبِحَارُ فَجُورَتْ } . والجمهور : على أن البحر المقسم به هو بحر الدنيا ، ويؤيده : { وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ } . وعن علي وابن عمر : أنه في السماء تحت العرش فيه ماء غليظ يقال له بحر الحياة ، يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً ، فينبتون في قبورهم . وقال قتيبة بن سعيد : هو جهنم ، وسماها بحراً لسعتها وتموجها . كما جاء في الفرس : وإن وجدناه لبحراً . قيل : ويحتمل أن تكون الجملة في القسم بالطور والبحر والبيت ، لكونها أماكن خلوة مع الله تعالى ، خاطب منها ربهم رسله . .

فالطور ، قال فيه موسى : { أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ } ، والبيت المعمور لمحمد صلى الله عليه وسلم) ، والبحر المسجور ليونس ، قال : { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } أنت سديد حاكم { ، فشرفت هذه الأماكن بهذه الأسباب . والقسم بكتاب مسطور ، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان لهم مع الله في هذه الأماكن كلام . واقتترانه بالطور دل على ذلك . والقسم بالسقف

المرفوع لبيان رفعة البيت المعمور . انتهى . ونكر وكتاب ، لأنه شامل لكل كتاب أنزله
شمول البذل ، ويحتمل أن يكون شمول العموم ، كقوله : { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا
أَحْضَرَتْ } . وكونه في رق ، يدل على ثبوته ، وأنه لا يتخطى الرؤوس . ووصفه بمنشور يدل
على وضوحه ، فليس كالكتاب المطوي الذي لا يعلم ما انطوى عليه ، والمنشور يعلم ما فيه ،
ولا يمنع من مطالعة ما تضمنه ؛ والواو الأولى واو القسم ، وما بعدها للعطف . والجملة
المقسم عليها هي قوله : { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ } . وفي إضافة العذاب لقوله
: { رَبِّكَ } لطيفة ، إذ هو المالك والناظر في مصلحة العبد